قمة «كامب ديفيد» وتصاعد التنافس الجيو سياسي في المحيطين الهادي والهندي «نحو عصر جديد من التحالفات المتضادة»

د. عبد الرزاق غراف

«كامب ديفيد» المنتجع الذي لطالما أُشتهر بقممه التاريخية التي غيّرت مسارات عديدة التوازنات الاقليمية والدولية، من هناك أعلن رؤساء كل من الولايات المتحدة واليابان وكوريا الجنوبية عن تشكيل حلف أمني عسكري وصفته بعض الجهات الإعلامية بـ «الناتو المصغر»، التحالف الثلاثي يأتي في خضم تصاعد التعاون العسكري بين روسيا وكوريا الشمالية في الأسابيع الأخيرة بالتوازي مع تصاعد الشراكة العسكرية الاستراتيجية بين روسيا والصين.

تاريخيا: تعتبر منطقتي المحيطين الهادي والهندي أحد أهم محطات الصراع الجيو سياسي الذي كثيرا ما أفضى إلى توازنات دولية جديدة حملت في طياتها صعود قوى كبرى جديدة وأفول أخرى، فالمنطقتين لطالما كانتا مسرحًا للتنافس بين الامبراطوريتين الفرنسية والبريطانية وقبلهما الاسبانية والبرتغالية وحتى الهولندية، واستمر هذا الوضع مع تصاعد النفوذ الياباني في فترة ما بين الحربين العالميتين ثم الصراع الأمريكي الياباني إبّان الحرب العالمية الثانية، وصولًا للصراع السوفياتي الأمريكي البارد،

ورغم أن نهاية الحرب الباردة قد حملت نوعا من الانفراد الأمريكي بالهيمنة، إلا أن تنامي قوة الصين في العقدين الأخيرين ثم محاولة ترجمة ذلك في توسيع حدود نفوذها الإقليمي والدولي، قد أعاد رسم المشهد من جديد على النحو الذي يُعيد المحيط الهادي والهندي إلى بؤرة للتنافس والصراع الجيو سياسي الدولي المعهود منذ قرون.

استراتيجيا: القمة تأتي بعد جملة من الأحداث الباعثة على تصاعد التنافس الجيو سياسي في منطقتي المحيط الهادي والهندي وآسيا، كان من مظاهرها تسارع وتيرة المناورات الروسية الصينية المشتركة، وتصاعد التقارب العسكري والزيارات المتبادلة الرفيعة المستوى بين مسؤولين روس ونظرائهم من كوريا الشمالية كان آخرها زيارة وزيرة الدفاع الروسي لبيونغ يانغ، في مقابل تصاعد موجة التوتر بين الصين وبعض جيرانها الإقليميين على غرار تايوان واليابان والفلبين الى جانب تصاعد وتيرة التهديدات المضادة بين كوريا الشمالية وجارتها الجنوبية توتر يمتد لغاية اليابان على أثر تجارب صاروخية لكوريا الشمالية والتي عادة ما تقابل بمناورات مشتركة أمريكية يابانية كورية جنوبية.

هذه التطورات أعادت رسم توازنات القوى في المحيطين الهادي والهندي على النحو الذي يجعل المنطقة أمام عصر جديد من التحالفات (ثلاثة ضد ثلاثة)، تجاوزت فيها بعض الدول عداوتها التاريخية على غرار تلك التي تجمع اليابان بكوريا الجنوبية في سبيل مواجهة مخاطر ورهانات مستقبلية مشتركة يعتبر بعضها وجوديًا، على غرار عقيدة نظام كوريا الشمالية القائمة على كوريا واحدة موحدة.

ظرفيا: قمة «كامب ديفيد» تأتي بعد أيام قليلة من قمة حلف الناتو التي انعقدت في ليتوانيا، قمة حضرتها أربعة دول غير أعضاء وهي: اليابان – كوريا الجنوبية – أستراليا – نيوزيلندا، وهو ما أشار ضمنيًا إلى تصاعد أهمية المحيطين الهادي والهندي وشرق آسيا في توجهات وأولويات حلف الناتو الاستراتيجية، كما أنها عبّرت عن حجم المخاوف الأمريكية من تمدّد الصين في هذه المناطق، تمدّد وإن كانت معالمه غير جديدة إلا أن الصراع في أوكرانيا كان قد ساهم في تسارع وتيرته على نحو مقلق للولايات المتحدة الامريكية وحلفائها، هذه الأخيرة التي أصبحت على قناعة بضرورة مواجهة هذا التهديد عبر التأسيس لمنظومة جديدة من التحالفات الإقليمية المناهضة للصين، فضلا عن كسر كل الحواجز التقليدية المرتبطة بعسكرة اليابان فضلا على زيادة حجم وطبيعة التواجد العسكري الأمريكي في المنطقة.

أربعة محاور رئيسية أفرزتها قمة كامب ديفيد ضمن مساعي أطرافها الثلاث لتعزيز تعاونهم العسكري والأمني وهي:

- برنامج مكثف لتأهيل القدرات العسكرية عبر زيادة حجم وطبيعة التدريبات المشتركة
- مواجهة تهديدات كوريا الشمالية الصاروخية والنووية عبر انشاء إنذار مبكر مشترك بين ثلاثي القمة.
- تعزيز التعاون الاستخباراتي والمعلوماتي.
- تعزيز القدرات المشتركة لمواجهة الأحداث الأمنية الطارئة في المنطقة عبر تأسيس قناة اتصال مشتركة بين ثلاثي القمة.

بغض النظر عن طبيعة الدوافع المساهمة في تعزيز أواصر التحالف الأمريكي الياباني الكوري إلا أن الثابت أن كبح الطموح الصيني المتعاظم يعدّ من أهم دوافع تأسيسه، فالصين الساعية للموازنة بين دورها وثقلها الاقتصادي العالمي ونظيره السياسي والعسكري تُدرك أن هذا المبتغى مرتهن في أحد أهم أبعاده بتجاوز القيود الأمريكية وشبكة تحالفاتها في المنطقة الساعية لمحاصرة ولجم طموح الصين نحو بناء نظام دولي متعدّد الأقطاب.

ردود أفعال متباينة:

التأكيد الأمريكي بأن أجندة قمة كامب ديفيد ليست موجهة ضد أي طرف ولا تحمل أي مشروع لإنشاء تحالف دفاعي يبدو أنه غير كافي لإقناع باقي الأطراف المتوجّسة ممّا يحدث، سواء كوريا الشمالية التي تتقاسم العداء التاريخي والحاضر مع ثلاثي هذا التحالف، أو الصين التي ترى في نفسها المستهدف الأول مما يحدث، أو حتى روسيا التي تتنازع السيادة مع اليابان حول عديد من الجزر المحاذية للحدود البحرية للطرفين، فالهدف واضح وهو أن الولايات المتحدة تسعى بكل ما أوتيت من أوراق استراتيجية الى احتواء الصين وحماية تايوان من أي تهديد صيني بالضم.

في أول رد فعل صيني على قمة كامب ديفيد حذّرت الصين على لسان المتحدث بإسم خارجيتها من تداعيات تحويل منطقتي آسيا والمحيط الهادي إلى ساحة تنافس جيو سياسي غير محمود المخاطر، مؤكدة على أن تحقيق الأمن الإقليمي والدولي يتطلّب ألا تتعدى طموحات كل طرف لمصالح الطرف الآخر، وعاد نفس المتحدّث وبنبرة شديدة اللهجة مندّدا بما جاء في البيان الختامي للقمة ومتهما الأطراف الثلاثة بالعمل على تشويه الصين، وذلك عقب إشارة هذا البيان إلى معارضة الأطراف الثلاثة للسياسة الأحادية للصين التي وصفوها بالهادفة لتغيير الوضع القائم في المحيطين الهندي والهادي.

قراءات وسيناريوهات:

الثابت أن ملف «تايوان» يبقى المحدّد الرئيسي في تفسير ما يحدث من استقطابات متبادلة، بالنظر لما يمتلكه هذا الملف من تداعيات ليس على علاقات الصين بالولايات المتحدة فحسب، بل على جل التوازنات الإقليمية والدولية المؤثرة والمتأثرة بهذا الملف، فالصين تدرك أن إعادة تايوان إلى الصين الأم هو البرهان الأكبر على قدرة الصين على التحول إلى قطب موازي في النظام الدولي، وهو أمر لو حدث فسيقلب كثيرا من المعطيات الاستراتيجية التي ظلت ثابتة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وسيفتح بكل تأكيد عصرا جديدا من حدود النفوذ الجيو سياسي ليس في المنطقة فحسب بل في كل العالم.

رغم أن القمة موجهة فيما يظهر من مخرجاتها نحو الصين وكوريا الشمالية بالدرجة الأولى إلا أن روسيا ضلت الحاضر غير المعلن عنه من خلال حضور الملف الأوكراني كأحد أهداف المبتغى الأمريكي الساعي لزيادة انخراط حلفاءه في مساعي الإدارة الامريكية لزيادة الضغط على روسيا وبخاصة فيما تعلق بالعقوبات الاقتصادية، مستغلة المبرّر التاريخي المرتبط بالنزاع الياباني الروسي حول سلسلة جزر «الكوريل» الواقعة شمال اليابان.

المساعي الامريكية نحو الحفاظ على هيمنتها وتفوقها ومواجهة الخطر الداهم الذي يشكله الطموح الصيني من جهة، وتصاعد رغبة الصين في كسر هذه الهيمنة من جهة أخرى، سيشكلان حتما مستقبل التوازنات الحاصلة في هذه المنطقة، وهنا تأتي قدرة كل طرف على بناء تحالفاته الاستراتيجية كأحد الآليات الممكنة لتقويض الطرف الثاني، ورغم أن تحوّل هذا التنافس إلى حالة من الصراع ليس بالأمر الوارد حاليا، ولكن في ظل التغيرات المتسارعة في الأحداث الدولية فإن هذا السيناريو غير مستبعد ولا يمكن التنبؤ بتوقيت محدّد له.

حتمية الصدام:

كل السيناريوهات توحي بحتمية حدوث صدام أمريكي صيني قرُب الزمن أم طال، وهذا بالنظر لحجم التضارب في طموحات كل طرف، وبغض النظر عن حدود وطبيعة وحجم هذا الصدام إلا أن الثابت أن هذا السيناريو مرهون في أحد أهم أبعاده بعدم قدرة الطرفين على تجاوز خلافاتهما بأقل الأضرار، قدرة لا يمكن الجزم بإمكانية حدوثها حاليا إلا أن حدوثها يتضمن حتما تنازل طرف معين على طموحه أو جزء منه على الأقل، وهو أمر بعيد المنال في ضوء توجهات الطرفين الحالية.

عموما فإن قمة «كامب ديفيد» تعدّ حلقة أخرى في سلسلة طويلة من تطورات الأحداث الدولية، التي تُنبّؤ بتحول منطقتي المحيطين الهادي والهندي الى أحد أهم مناطق الصراع الجيو سياسي القادم، صراع سيساهم بمخرجاته في تحديد طبيعة النظام الدولي الذي تحاول الصين وروسيا أن يكون متوازنا وبعيدا عن هيمنة الولايات المتحدة المطلقة، في حين تسعى الولايات المتحدة للحفاظ على موقعها المتفوق فيه بعيدا عن أي قوة موازية لها، ولعّل الجواب الحاسم عن هذا الإشكال مرتبط كبير الارتباط بالإفرازات المنتظرة لهذا التنافس الجيو سياسي وما ارتبط به من ملفات دولية وفي مقدمتها الصراع الدائر في أوكرانيا.

باحث أول بمركز الخليج للأبحاث

Gulf Research Center

Knowledge for All

مركز الخليج للأبحاث

المعرفة للجميع

www.grc.net